(وقال سالم بن وابصة)

عليك بالقصد فيما أنت فاعله
إن التخلق يأتي دونه الخلق

وموقف مثل حد السيف قمت به
أحمي الذمار وترميني به الحدق
فما زلقت ولا أبديت فاحشة
إذا الرجال على أمثالها زلقوا

دمعة على البؤساء

١

البؤساء في الدنيا أجل من أن يحصون وأشدهم بؤساً من يشاهد الشر ينهك جسمه ولا يجد الاستطاعة لدفعه.

أتى عليّ يوم تجلت إليّ فيه الهموم من كل جانب وأعوزتني الحيل وضقت ذرعاً مما حل بي فكنت أروح النفس تارة وأطرد عنها النوم أخرى حتى أخذتني سنة بين خيالات شاخصة وهموم قاتلة لم يزالا يتراءيا لي حتى في ذلك العالم.

بينما كانت النفس تجول لعل مما أحزنها طول عمرها يبارحها في تلك السنة التي شعرت فيها بقرب الراحة. إذا بصديق من الأصدقاء الذين عرفتهم وعرفت ثروتهم يفضي إليّ بخبره ويشركني في بؤسه فرأيت واجب الصداقة يقضي على سكب عبرات بين يديه يتأسى بها وتخفف عنه ما كاد يذهب به إلى مضجعه الأخير إن لم أشاطره في مصيبته التي تسيخ لها الرواسي وتذوب الجمادات.

أخبرني هذا الصديق أنه ممن ربى في النعمة كما أعرف وأن والده ما لف في أكفانه حتى خلف له من المال ما تبقى صبابته لأحفاد الأحفاد ومن نفيس المقتنيات وغيرها ما لا يأتي عليه العد؛ فلم يبلغ الثلاثين من عمره حتى انفصل عنه نقيره وقطميره، وجليله وحقيره، ولم يفضل له إلا أطماره التي يواري بها عورته وأفلاذ كبده الذين بهم يتكفف إلى الناس ويتعزى بهم عندما يتذكر المصير ومستقبل الأبناء. وأن سبب ذلك هو

دخوله في إحدى طوائف المتمشيخين وإعطاؤه العهد على السمع والطاعة للأوامر المتلقاة منهم ظناً منه أنها شبيهة بالأوامر الإلاهية وأن امتثالها متحتم على كل ساكني البسيطة فلم يشعر إلا وقد فقد رشده بذهاب ما ينعش به روحه وروح أبنائه وأصبح في ثيابه الخلقة وأبنائه المتصدق عليهم يلتمس ما يسد به الرمق ويدفع عنه كفر الجوع.

ما بلغ صديقي من حديثه إلى هذا الحد حتى رأيت الجو قد ملأ جوراً واعتسافاً وأن ساعة الخسف والمسخ التي ما زالت بهرجة الخلاف فيها قائمة قد أزفت فتظهر للعيان وترينا فعلتها بالمشايخ القابضين على نواصي البؤساء بيد حديدية لا تعرف الشفقة والرحمة ولا تتذكر ساعة المنقلب. كأن الرؤوف الرحيم ما خلق المساكين إلا لأن يكونوا تعبير أحلام الشياطين، وفريسة لفرقة الشاطحين، وكأن هذا العالم ما أوجده الله إلا لأن يبقي التصرف فيه لأصحاب الأغراض وذوي السيطرة والاستيلاء على الآراء من غير أن يأتي عليهم يوم تبرز فيه على رؤوس الأشهاد الضمائر وتفضح لهم فيه السرائر.

أيها الصديق العزيز لقد أفضيت إليّ بسرك ظناً منك أنك تجد في زوايا بيتي ما فقدته بالأمس وبثثت إليّ خبرك رجاء أن تكون تلك الخيالات التي استولت عليك حتى ذهبت بلبك لها شبه عندي ـ أعاذني الله ـ فأشاطرك إياها علك تنقذ ما حال بينك وبينه الأقفال والآلاف من مثلك ممن لا زالوا مخدرين لم يفيقوا من سكرتهم إلى الآن هيهات هيهات لقد نفذ القضاء وذهب ما مضى وليس في استطاعة أحد أن يحيي الموتى.

كان اللوم يتوجه لوالدك ـ لو قدر الله سعادتك ـ حيث أهمل تهذيبك وأخل بواجب نصيحته لك فلا يدعك أكلة في يد الملهوفين، ومضغة تلوكك أشداق المتمشيخين، فتقفو أثره من بعد وينمو قدرك عند فقده؛ أما وقد وكلك إلى ما حشره من حلاله وحرامه، بدل تهذيبه لك وإرشاده، فقد رجع المال إلى أربابه، وأراحك الله من وصمة صيرورته، فلأن تكون خفيف الزاد والرحيل وقد حلبت الدهر أشطره، وعرفت مشايخه وشطاره أحب إليّ من أن تدع أبناءك فريسة للائكين ومجزرة لسفاك الأعراض فإنك قد جربت وقاسيت ورأيت ومارست فلا أخالك تدع الأهواء تنشب في أبنائك من غير أن تدعهم عارفين بالزمان وأهله وتحذرهم

من وقائع الشيطان المستهلكين لأموال الناس بالخدع ودعوى الشيخوخة والتهذيب، ولا أحبك أن تقطع الرجاء وربك أرحم الراحمين وأعظم من انتصر للموحدين من المتمشيخين.

أيها الصديق ما الذي أغراك حتى أوقعت نفسك في حبال مبشرين المشايخ وقد كان لك في البعد عنهم ما فيه راحة بدنك ومالك ووقاية عرضك؟ وما الذي ألجأك إلى ولوج مضايقهم الضنكة حتى زجوك في سجن هواهم وقد علمت حدتهم وقساوة قلوبهم وقلة اكتراثهم بالمساكين؟ هل غرك على دفع أموالك وبسط اليد لهم في أمتعتك تلك المدارس التي تراها يشيدونها للإسلام؟ أم تلك الصدقات التي تشاهدها كل ساعة توزع على المضطرين وتلك الأحباس التي يخلدونها لمساجدهم فيرحمون عليها حين لا راحم، وذلك الكرم الحاتمي الذي ترى الوفود تحج إليه من كل فج عميق وتلك المآثر التي يرفعون بها دين الإسلام ويقيمون بها أركانه، وذلك العلم المبثوث لكل صادر ووارد؟ أم التبس عليك الحق بالباطل فظننت أن بيوتات مشايخ الوقت، كبيت السادات الدلابيين والناصريين والشرقاويين والفاسيين والكتانيين وغيرهم من ذوي المجد الشامخ والفضل الراسخ، فمآل ما لها لقمة لطالب العلم وسد لخلة مضطر، فأرشدنا ـ هداك الله ـ فلقد ربيت في مدرسة قلما تدرس الناس بأدراسها ومرت عليك مواقف كان يمكن لك فيها أن تنهض بنفسك لو قدر الله نجاحك.

(يتبع) محمد بن أبي بكر السلاوي

الشهاب
لسان الشباب الناهض
بالقطر الجزائري

الحكومة
وأبناء الزوايا

تباشرت الناس كافة بنهي حكومة الجزائر الذي نهت به أبناء الزوايا أن يخرجوا من ديارهم يضربون في بادية الجزائر وقراها ومدائنها يجمعون النذور (الوعائد) التي تنذر للمشايخ الأولين، ويضربون على الناس باسم «الزيارات» مغرماً ثقيلاً. نهت الحكومة أبناء الزوايا بهذا النهي وجعلت على من لم ينته منهم عقاباً شديداً من سجن أقل أمده خمسة عشر يوماً، وغرامة مالية على قدر ما تراه

دمعة على البؤساء

ـ ٢ ـ

أنسيت ساعة ترددك إلى الشيخ وأنت في ثروتك العظيمة وزيك العجيب فتراه مقبلاً عليك بكل جوارحه ونفيس أوقاته يسحرك بتحاليه تارة، ويستخرج منك بتبسيماته ما يمد يده إلى مستودعاته، ومعاين كيوسه بتتبع التقاط ما سقته إليه وإلى أغراضك الشاقة ـ تارة أخرى، حتى إذا نفدت تلك الدوالب التي كنت تحرك بها جوارح الشيخ صرت ترمي بدل تلك المجاملة رداً وإبعاداً، وعوض تلك التبسيمات وجوهاً كاشرة وقلوباً قاسية وأبواباً دونها ـ بالخصوص ـ مغلقة.

أنسيت وقت ما كان يتردد إليك طالب العلم راجلاً حافياً جائعاً كأنه أشبه شيء بحمار حين لا بريد ولا قطار بأوامر الشيخ ومكاتبه طوراً يلزمك ببهائم الخليع وآونة بضحية الأعياد وحيناً بجزاز العام ووقتاً بالسمن وتارة بأداء أعشار الحبوب له كأنه الساعي الشرعي أو رب إدارة الأداء والجبايات.

أنسيت وقد وردت عليك مكاتب الشيخ تخبرك بأن كثرة الزائرين والواردين على الزاوية استهلكت المواد الضرورية وتأمرك ببذل المجهود في القيام بها حتى إذا وردت زائراً فلا آكل ولا شارب ولا مأكول ولا مشروب وإنما الأموال استحالت عقاراً..!!.

أنسيت وقد شد الشيخ إليك وإلى أمثالك الرحلة فتكلكل عليك بخيله ورجله ثم لم ينفصل عن منزلك حتى بارحك كل ما تملك.

أنسيت وقد بعت البلاد وحملت الأولاد ووردت على الشيخ فريسة من غير تفكير فلم يحفل بأمرك بعد اختلاس الفضلة سوى زفرات من بين الحجب وسبات من داخل الأبواب، ثم لا أنت بالمال تسد به الفاقة إذا أثختك الجراحة ولا بالبلاد تقلك إذا طردتك البقاع ولا بالأولاد فتصون عرضك عندما رأيت المتمشيخ اتخذ ذكورهم وإناثهم خولاً... مقتعرين.

فإذا غرك أيها المسكين من مواقف الشيخ وقد تجلى أمامك بعد أن عظم لك أمره المبشرون وخوفك الانقلاب عنه المغامرون.

وماذا راقك منهم وقد أصبحوا في أموالكم يتصرفون ولأهليكم وأولادكم يستخدمون، هل ما تلي عليك من قبل أم قيامهم بالأسحار وتهجدهم بالقرآن ولزومهم الجمعة والجماعات وعيادتهم للمرضى ونصرتهم للضعفاء وإقامتهم دعائم الإسلام، وكثرة الصلاة والصيام، وبكاؤهم والناس نيام، كلا لا تجهلون قلة الأمانة وندور الديانة وكثرة الخيانة وشدة القساوة، ولكنكم لقنوكم أدعية ومستعملات جلها سحريات فلا تزال براكينها تلعب فيكم وأنتم لا تشعرون حتى تطرحوها في المزابل وتنبذوها تماماً. أما ما دمتم متقيدين بحبال النوم جاعلين أعناقكم في تلك السلاسل التي أثقلت ظهوركم وأنهكت قواكم إلا ولا ندم ولا توبة ولا رجوع، وإنما ضغط الطرد والتشريد يبدي منكم النحيف بدون شعور.

أيها الصديق ذهب المال والعقل وفقدت الرشد وسئمت الحياة فأخبرني عما شاهدت من شيخ التهذيب وماذا عليك من مجالسته وتلاوة مستعملاته؛ فلقد نصحكم الأقدمون حين لا زاوية ولا ورد ولا شطح ولا مزامير وحذركم المتأخرون حين شابت منكم الأهواء وكثر منكم الدخلاء وعمكم البلاء من كل واد واحتوت على أفكاركم البسطاء. فهل رأيتم كثرة صياحهم وسمعتم كثرة عويلهم ونحيبهم أم لا تزال الأغشية سميكة على أبصاركم والسحريات مستولية على بصيرتكم والحيرة تطردكم تارة وتشردكم أخرى؟ فأفيدونا هداكم الله فقد عم المصاب وصرنا نتحمل لكم ما لا تشعرون به أنتم أنفسكم. وليس في استطاعة بائس مثلك - يا صديقي - أن يريدك على عبرات متدفقة تشملها زفرات مزعجة سوى كلمات تهون عليك وعلى البؤساء أمثالك عندما تهوي لتنزع روحك من بين جنبيك. فإنكم سيأتي عليكم يوم تشاهدون فيه كل أمة جانية كل أمة تدعى إلى كتابها فينادي المنادي ألا فليتبع كل منكم من كان يعبد حتى يأتي دور المتمشيخين تكتنفهم ملائكة غلاظ شداد وقد تعلق بكل واحد منهم آلاف ممن ذهبوا ضحية الجهل مثلك يصيحون على الخائن أمام الحكم العدل على اختلاف شكواهم وتباين مصائبهم هذا يقول يا رب إن هذا

قد أكرهنا على أنفسنا... والآخر يصيح يا رب إن هذا قد استهلك أموالنا واستولى على آرائنا. وترمق الملبس عليك منهم وسطهم وقد أعوزته الحيل وضاقت به المسالك وتساءلت قائلاً يا ربنا هذه وقفة البائس المظلوم التي كان يتطلبها من وقت شعوره بالسموم القتالة، وهذه الساعة هي التي كنا نبرّد بها غليلنا حين ما كانت الدواهي تحوط بنا ولا شاعر ولا متحرك وهذه الوثبة هي التي كانت تخفف شقاءنا ساعة ما كانت العبرات تنحدر من آماقنا. وهذا المتمشيخ الذي نراه يتعثر في دموعه ويبين من سوء ما حل به وعظيم رزئه هو أحد الذين كانوا بالأمس يبتغون جنتك ويهونون عذابك ويخونون عبيدك ويحجرون على ضعاف رحمتك، هؤلاء هم الذين لم يهابوا سطوتك ولا خافوا بطشتك حتى زعموا إنك تتحلل فيهم ويتحللون فيك وأنت هم وهم أنت؛ طوراً يشاهدونك في الأوثان، وأخرى في الغلمان، ومرة في الغنم، وأخرى في النعم، هؤلاء هم الذين فرقوا الدين وشتتوا كلمة المسلمين ونصروا دعوة الشياطين وتطاولوا على مقامات الأنبياء والمرسلين وموهوا الحق المبين وخانوا الموحدين. هؤلاء هم الذين رفعوا عنا الصلاة والصيام وبددوا جموعنا بالخرافات والأوهام وادعوا الأخذ عنك مباشرة بلا واسطة ولا إلهام والعروج إليك في كل الأعوام فحسنوا لنا الاستقسام بالازلام واختلسوا أموالنا ونحن نيام هؤلاء بك قد شدونا وبالانتساب إليك في حبالهم أوقعونا فخدمناهم لأجلك خدمة الغلام الرشيد وتقربنا إليهم بالجاه والأموال والأهل والعبيد فلما فحصنا داخليتهم واستكشفنا سريرتهم لم نشاهد منهم أصولاً ولا فروعاً ولا رأينا منهم سجوداً ولا ركوعاً ولا ولا. هؤلاء هم الذين كنا نستغيثك بهم لحسن ظننا فلا نغاث ونتوسل إليك بهم وأنت معنا أينما كنا فلا نجاب. قد أوهمونا أن أرزاق خلقك على أيديهم توزع، ومواهب فضلك من فضائلهم تتفرع، يا ربنا قد هديتنا فاستحببنا العمى على الهدى، وأرشدتنا فألهانا عن رشدك متابعة الهوى فهؤلاء ساداتنا وكبراؤنا قد أضلونا السبيلا.

وساعة انتهيت مع صديقي إلى حديث هذا المشهد العظيم ـ انتبهت من ضجعتي مرعوباً ووليت الفرار مذعوراً قائلاً في وقت أداء الحق الفرض: هذا هو اليوم الذي تظهر فيه الحقائق،

وتفتح المغالق. والمعارف فيه تذاع، والأهواء تبارح الأندية والبقاع، فما عليكم إلا أن تظهروا الجد تحمدون عقباه، وإياكم والكسل عن العمل؛ والاعتذار بالعلل؛ ومن عرف ما قصد، هان عليه ما فقد.

انتهى

محمد بن أبي بكر السلاوي

الحياة الجديدة

ـ ٣ ـ

وذلك لأنه جاهل والجاهل إذا لم يجد مرتزقاً من الحلال فلا يمنعه مانع من الارتزاق من الحرام.

وعليه يجب على العمال الاعتناء بأنفسهم وذلك بتأسيس النقابات التي تضمن لهم حقوقهم. وعلى العموم مساعدتهم على نيل مبتغاهم إذ سعادة الجميع بسعادتهم والشقاء بالشقاء!.

٧ ـ والشيء بالشيء يذكر فبمناسبة الكلام على سعادة البلاد وسعادة العمال وجب أن نقول: تداركوا ما فات واعملوا لما هو آت. وذلك بالمحافظة على الثروة ويستحيل أن يحافظ عليها الإنسان، إذا لم يجد من أبناء أمته وإخوانه تجاراً لا ذوي شركات كي لا تذهب الأرباح للخارج لأن البلاد في حاجة إلى العاملين من أبنائها. والوطنية تدعوكم إلى تأسيس الشركات لتحيوا التجارة الحرة من مرقدها وتنهضوا بها من مماتها وترفعوها من كبوتها وترتقوا بها إلى أعلى الدرجات وأسمى المراتب لكي تكون ـ على الأقل ـ بينها وبين تجارة الأجانب مناسبة. أما البقاء على هذه الحالة والآخرون يتقدمون بخيراتنا يسبحون في بحار ثروتنا ونحن ننظر إليهم، وربما كان الأشقياء منا أعواناً لهم على جمع ثروتنا بجيوبهم والقضاء عليها القضاء النهائي ـ فإن ذلك مما يرجع بالشعب إلى الوراء ويتركه فقيراً حقيراً جديراً بأن يشار إليه بالأنامل لا سيما وقد تقدمت الأمم ونالت... وما ذلك إلا باتحادها واعتمادها على نفسها واتكالها على قواها ولو مع وجود الضعف لأن الشرقي ضعيف